حركة التحرير الوطني الفلسطيني
(فتح)

تطور العمل السياسي في القوات المسلحة الفلسطينية

(2)

دراسات سياسية

تطور العمل السياسي
في القوات المسلحة الفلسطينية

مقدمة

تنطلق اهمية دراسة التاريخ ومراجعة تجارب الماضي وحقائقه من تغذيتها للحاضر والمستقبل، حيث انها اداة إلهام في اكتشاف قوانين الظواهر والاحداث، وفي بلورة المفاهيم النظرية، واستخلاص العبر والدروس.

هناك فارق كبير بين المؤرخ وغيره في تناول احداث الماضي، فالمؤرخ يمكن ان يتناول هذه الاحداث لذاتها وتسلسل وقوعها ليضيف سطراً في سجل التاريخ، ولكن الآخرين (كل حسب اختصاصه) يتناولون التاريخ واحداث الماضي بقدر ما تكون مفيدة في الحاضر والمستقبل.

وعليه فإن هذا التناول قد يتخذ مساراً نقدياً، وقد يتخذ مساراً مؤيداً، او مزدوجاً من النقد والتأييد، ولكنه في كل الاحوال يكون مساراً هادفا من خلال الحاجات التي تطرح نفسها او تطرحها حقائق الحياة، حقائق الحاضر والمستقبل.

ونحن عندما نتناول تجربة التوجيه السياسي والعمل السياسي عموماً في اطار القوات الفلسطينية فإننا نتناولها كأصحاب هدف من المنطلقين معاً:

- **الاول:** وهو المنطلق التوثيقي حيث يعنينا توثيق التجربة واضافتها بين حروف التجربة الفلسطينية في هذه المرحلة عموماً.
- **الثاني:** وهو منطلق حاجتنا العملية اذ يعنينا ان نستفيد من العبر والدروس واغناءات التجربة لتصورات وخطط العمل.

فالتجربة هنا تغني وتضيء المفاهيم حول جوانب عديدة من حاجات العمل، ذلك ان العمل السياسي في القوات هو خاصية من خصائصنا نكاد نكون فيها من حيث العمق والمدى احد المواقع النادرة في منطقتنا في المرحلة التاريخية التي نعيش.

ان المنطلق التوثيقي للتجربة يقتضي منا ذلك البعد المتكامل من الامانة والموضوعية والاحاطة الممكنة، لأن التجرد من تشابك او تضارب علاقات الماضي الذي انطوت صفحاته يضفي مزيداً من السمو والموضوعية تتطلبه ضرورات التوثيق.

اما البعد الآخر فهو يتطلب منا كل ذلك التعمق للوصول إلى الاغناءات المطلوبة. وأول هذه الاغناءات هو وضوح الرؤيا لطبيعة وابعاد وحدود المهمة المنوطة بنا.

فالعمل السياسي في القوات يتخذ ابعاداً ومهاماً وحدوداً تختلف باختلاف المنطلق الفكري السياسي وباختلاف الغايات المرجوة منه والمهام الملقاة على عاتقه.

ونحن في هذا النطاق نمتلك تفرداً في المنطلقات والخصائص والظروف جعل لتجربتنا تفردها وخصائصها المتميزة عن غيرها.

فالعمل السياسي في القوات المسلحة هو ابن الحاجة الموضوعية عموماً عندما يكون التحدي يقتضي عملاً تعبوياً شاملاً، وهو ابن المنطلق الفكري العقائدي الحزبي لتجارب هذا القرن، حيث تتباين تجربتنا في حدود كل من العقائدي والحزبي وطبيعتهما. والاكثر من ذلك فإنها تتمايز ايضاً في عمق التفاعل وطبيعة التحدي ومستوى تطور عصرها والظروف المحيطة بها. وهذا الامر بحد ذاته يضفي إلى خصوصياتها خصوصية جديدة ويعمق تمايزها.

ان تمايز حدود العقائدي والحزبي لدى التجارب الا خرى في هذا القرن جعل مهام التوجيه السياسي تتركز على البناء الحزبي والفكري في القوات المسلحة لدى تلك التجارب.

بينما ادى الاتسام بطابع التحرر الوطني لدينا، والانطلاق من مفهوم التحرر الوطني إلى التركيز على مهام اخرى، فإن التشكيلة الفصائلية لقوات الثورة الفلسطينية طيلة المرحلة السابقة جعل اندماجها الشمولي والمعمم في الاطار التنظيمي اداة استغناء عن مفهوم البناء الحزبي الخاص والدقيق في اطار القوات، خاصة في حالات القوات الانضج تشكيلاً والاكثر اكتمالاً.

وبالعموم فإن جيوش العالم اليوم تشهد عدة مدارس في الاطار العام للعمل التعبوي وللتوجيه بين صفوفها. فمدرسة التوجيه السياسي هي مدرسة تسييس القوات وانغمارها في الا طار العقائدي والحزبي، وفي اقل الحدود في اطار التعبئة السياسية المحددة.

ان هذه المدرسة تنطلق من مدى تعويلها على الانسان في حسم الصراع واجتياز التحدي.

وفي المقابل تقتصر مدرسة إبعاد الجيوش عن السياسة والحزبية على مهمة البناء المعنوي او التوجيه المعنوي.

وفي كل الا حوال اذا كان هذا الاقتصار ممكناً لدى الدول والمجتمعات التي تجاوزت مراحل النضال من اجل الاستقلال او التي تواجه تحدي استكمال الاستقلال والحرية، فإنه غير ممكن في الحالة الاخرى، اي في حالة الوقوع في غمار تحدي تحقيق الاستقلال وضروراته، وفي تحدي الثورات الشمولية عموماً.

لانه من المستحيل في الحالة الثانية الابتعاد بالجيوش عن السياسة حتى عند المستوى الشكلي او الظاهري، فكلما كان التعويل على عامل الانسان وبناء الانسان لكسب النصر اكبر كلما كان العمل السياسي اكثر اهمية وضرورة.

ان عمق التحدي هو الذي يحدد عمق المهام، كذلك فإن تعقيدات المسيرة هي التي تحدد تنوع الاساليب، وبالتالي فإن العمق والتعقيد هنا بقدر ما انهما مصدر للمصاعب والتضحيات فإنهما مصدر لعمق التجربة.

جذور التجربة

لقد بدأت الملامح الاولى لمدرستنا في العمل السياسي من خلال مدرسة التوجيه السياسي شرقية المنابت، فقد حملت الدورات الثلاث الاولى من ضباط وقادة قوات العاصفة إلى اكاديمية نانكين العسكرية في الصين الشعبية التبلور الاساسي للاحساس بالحاجة إلى العمل السياسي ووجود المفوضين السياسيين في اطار قوات العاصفة الثورية، وهو الامر الذي يجعل منطلق التجربة الاول عبارة عن تقاطع

الحاجة العملية في ارض الواقع والتحدي، مع الاطلاع على تجربة الصين الشعبية والتي لم تكن مجردة عن التفاعل مع التجربة السوفيتية في الاساس.

هذه هي نقطة البدايات للبذور الاولى. ومع استمرار التجربة وتعاقب المراحل استمرت هذه التجربة التي تتسم بخصائصها وتتعمق بتمايزها حيث تمكّن الواقع وابداع التفاعل من وضع الملامح الخاصة لتجربة خاصة لعلها اليوم من التجارب الواسعةً من حيث الدور ومدى المهام، وعمق تفاعلها مع الخيار السياسي وانفتاحها على حقائق العصر والحياة وقيم الحضارة الانسانية بمفهومها المتنوع.

ان الحضارات العظيمة تنبع من التحديات العظيمة التي تقترن بالتفاعل بين اكثر من حضارة انسانية. كذلك هي التجارب ذات الابعاد في الحدود الحضارية.

إذن ان للانطلاق الحضاري العظيم شرطان:

- **الاول:** هو التحدي الكافي لتحريك الحوافز الكافية.
- **الثاني:** هو الجوهر الفكري الحضاري على قاعدة التفاعل بين الحضارات وعدم الاقتصار او الانغلاق، وهو الامر الذي يجب ان ينشأ عنه عامل المستقبل في الرؤيا وفي سياق التطور.

وذلك ما يتوفر في مناخ الحالة الفلسطينية، وهو الامر الذي دفع بتجربتنا إلى اخذ سماتها وخصائصها.

واول هذه السمات والخصائص هو اتساع وتنوع الاهداف والمهام، فإضافة إلى البعد المحدود الحزبي والفكري والسياسي والعقائدي في اهداف ومهام العمل احياناً فقد اتسمت التجربة بتنوع الاهداف للعمل السياسي في اطار القوات المسلحة والتي من ابرزها:

- **اولا:** هدف الربط بين البعدين العسكري والسياسي في وعي افراد القوات المسلحة، وبالتالي الربط الدائم بين الاستراتيجية العسكرية والمهام العسكرية من جهة والاهداف السياسية من جهة اخرى.

  البعد السياسي بكل ما يحتويه من قيم واهداف كبيرة وحوافز محركة واضاءات للوعي والرؤيا، والبعد السياسي بكل ما يجسده من ترابط وضرورة عملية لتحقيق القيم والاهداف السياسية.

  إن عدم تكافؤ القوى والوسائط يقتضي من الطرف الذي لا يمتلك الوسائط الكافية ان يضاعف من اعتماده على الانسان. فالانسان هو العامل الحاسم في الصراع، وهذا المبدأ يقتضي بناء واعداد الانسان وتسليحه بقوة الحوافز ووضوح الرؤيا.

  اي انه يقتضي ممارسة العمل السياسي المكثف والمركز من اجل تحقيق هدف ان يؤازر كل من العمل العسكري والعمل السياسي اهداف واغراض الآخر ضمن ذلك النسق من الترابط والتكامل الذي لا ينفصم. يجب ان يحقق العمل السياسي الغرض التعبوي الشامل في صفوف القوات المسلحة ومحيطها.

- **ثانيا:** إن اعداد وبناء الانسان يقتضي القيام بالدور التربوي، وتحقيق الهدف التربوي عبر تربية شمولية لافراد القوات المسلحة تلامس روح الفضائل الاساسية المرجوة بالتعميق والتطوير وتتحكم في سلوك وفاعلية الافراد والضباط.

إذن ان التربية هي اسلوب وهدف في آن واحد. فهي اسلوب من حيث انها اداة الوصول إلى تطوير الفضائل الاساسية لدى الافراد، وهي هدف من حيث انها غرض مباشر من اغراض العمل السياسي في القوات المسلحة.

وما من شك ان للعملية التربوية اسسها ومبادئها واساليبها، وان هذه الاسس والمبادئ والاساليب تنبع من القيم الخاصة المرتبطة باهداف النضال وخصوصية التجربة وتراثها.

يجب ان تؤدي العملية التربوية إلى رفع مستويات العلاقات الجيدة في اطار القوات المسلحة والى رفع مستوى الالتزام بالسلوك النضالي والسلوك القويم والقيم الاخلاقية والمناقبية القتالية والاصول العسكرية لدى جميع الافراد وضباط الصف والضباط.

- **ثالثا:** رفع الروح المعنوية وتحقيق التماسك الجماعي للقوات المسلحة والمساهمة بالتالي في تحقيق الجاهزية القتالية والجاهزية لاداء المهام الاخرى، وفي توفير قوة وكفاية العامل المعنوي للمساهمة في تحمل المشاق واجتياز الصعوبات حتى تحقيق النصر.
- **رابعا:** الوصول إلى افضل مستوى في علاقات التعاون والتكاتف بين القوات المسلحة ومحيطها الشعبي والجماهيري.
- **خامسا:** اعداد القوات المسلحة لتأخذ على عاتقها المساهمة في مهام اخرى هي من خصائص هذا النمط من القوات الذي ينبني على اساس اهمية العمل السياسي في صفوفه.

وهذه المهام الاخرى المضافة للمهام القتالية والمهام المعتادة للجيوش هي

أ. المساهمة في مهمة البناء بكل معانيه.

ب. المساهمة في مهمة بناء قيم النظام والمجتمع.

جـ. تحقيق التماسك الاجتماعي.

- **سادسا:** دفع القوات المسلحة للاستمرار في مواكبة روح العصر والتطور.
- **سابعا:** تحصين القوات المسلحة بالوعي السياسي الذي هو اساس الامن الفكري والسياسي لهذه القوات، والذي يوفر لها المناعة حيال العمل الدعائي المضاد وحيال حرب الاشاعات ومحاولات الهدم المعنوي التي تكون هدفاً لها.

وكل هذه الاهداف والمهام للعمل السياسي تقف إلى جانب المشاركة في المهام القتالية والمهام الاخرى للقوات المسلحة.

من هنا تنبع اهمية وفاعلية العمل السياسي في القوات التي تخوض غماراً مثل الغمار الذي نخوض.

من البديهي ان خاصية العمل السياسي في القوات تمليها مقتضيات الحاجة والظروف وليس مجرد الرغبة او التطلعات، حيث ان استحداث الزائد عن الحاجة او غير الضروري في واقع الحياة هو ترف يخل بسلّم الاولويات.

إن المنطلق الفكري التنظيمي لتجربة العمل السياسي في القوات هو منطلق احتياجات المرحلة وطبيعتها وآفاق الاهداف فيها، وهو في حالتنا منطلق ابراز عامل الانسان كأساس في حسم الصراع

نتيجة لعدم تكافؤ القوى الاخرى.

وما دام بحكم (قوانين الصراع) هناك حاجة في حالتنا لان نضع الانسان كعامل حاسم لا بد من الاستمرار في اعادة تثقيفه وصياغته وبنائه وفي التطوير المستمر، وهو ما يتأتى من خلال العمل السياسي في أطار القوات.

وبالامكان النظر إلى التجربة من خلال تطورها عبر المراحل المتعددة ابتداء من ارهاص النشوء وحتى بلوغ آخر مستوى للنضج والتكوين. وهو الامر الذي يمكن تحقيقه بابراز التجربة عبر مراحل تطورها مرحلةً مرحلةً. وهنا يمكننا ان نميز بين ما قبل تشكيل جهاز التوجيه السياسي وما بعد تشكيله.

فقد ابتدأ مخاض تشكيل جهاز العمل السياسي في قوات العاصفة متأثراً بالتجربة الصينية، حيث تم اللجوء إلى تسمية مفوض سياسي من بين افراد بعض مجموعات العمق المسلحة، وهي المجموعات التي كانت تكلف بالتسلل وراء الخطوط والتمركز في ارض الوطن.

ولعل من ابرز الاسماء في تلك المرحلة -المفوضين السياسيين- هو الشهيد مازن ابو غزالة الذي سُمي مفوضاً سياسياً لمجموعة العمق المسلحة الاولى التي اتجهت إلى منطقة طوباس.

وتبع ذلك، ونتيجة لمقتضيات الحاجة، تكليف بعض القادة الحركيين او الكوادر السياسية بمهام المحاضرات الطارئة او الدورية، ثم بمهام المفوض السياسي غير الثابت في القواعد العسكرية المنتشرة.

وقد تركزت بدايات التجربة في كل من معسكر الهامة وقطاع الجولان في الساحة السورية حيث شارك بالمحاضرات التثقيفية الاخ فاروق القدومي (ابو اللطف)، وبعض الكوادر من الاطر الاولى لحركة فتح، وقام ببعض هذه المهام ايضا عدد من الكادرات السياسية والاعلامية، ومن ابرزهم كل من الازهري(فاروق القاضي) ومصطفى الحسيني وهما من مصر الشقيقة، وسعيد حمامي.

واستمر الامر كذلك إلى ان ادت ضرورات ما بعد معركة الكرامة إلى التوسع اكثر فاكثر ضمن ظاهرة التبلور هذه.

لقد ادى الانتصار الكبير في معركة الكرامة في آذار 1968 إلى الاقبال الواسع والفيض الغامر للتطوع في صفوف الفدائيين، وهو الامر الذي انهى الظاهرة الانتقائية عبر الاطر التنظيمية لرفد القوات بالمقاتلين.

واحدث ذلك التوسع نوعا من الخليط في القواعد التي ازدادت انتشاراً وخاصة في الساحة الاردنية وفي مناطق الاغوار مما ادى إلى زيادة الحاجة للاعداد السياسي والتربوي في اطار قوات العاصفة.

لقد انتهى الامر بقرار تشكيل جهاز للتوجيه السياسي في قوات العاصفة في النصف الثاني من عام 1969 ومن هنا يبدأ تدرج المراحل في تجربة وتطور هذا الجهاز حيث مرت مسيرته بالمراحل التالية:

اولا: مرحلة التأسيس

وهي مرحلة تأسيس جهاز العمل السياسي في قوات العاصفة وعمله، حيث تركز ذلك العمل ابان هذه المرحلة في الساحة الاردنية بصورة اساسية وذلك تبعاً لتركيز ثقل العمل العسكري والقتالي لقوات الثورة الفلسطينية وجسمها الاساسي المتمثل في قوات العاصفة.

استقبلتْ في هذه المرحلة قوات العاصفة المفوضين السياسيين استقبالاً ايجابياُ ومتعطشاً، وكان هنالك بعض الاستثناءات وذلك اما نتيجة لوجود بعض الضباط التقليديين الذين وفدوا من بعض الجيوش

التي تنفر من تسييس القوات، او نتيجة للعلاقة الشخصية السلبية بين القائد العسكري والمفوض السياسي في بعض الحالات.

لقد كان الدافع المسبق لاول تشكيل لجهاز التوجيه السياسي هو انغمار القوات بكل ذلك المد القتالي، وارتفاع روحها المعنوية، ورفدها المستمر بالمقاتلين الفدائيين خريجي بلدان مثل الصين والجزائر وغيرها، وكذلك الانفتاح على الكادرات والتجارب التنظيمية والاعلامية في اطار الثورة، اضافة إلى كون النسبة الكبيرة من القادة والضباط، والذين تخرجوا حديثاً من دوراتهم او استلموا مواقع القيادة في القواعد والوحدات، هم من ابناء التنظيم.

ولعل بعض المعسكرات التي اقيمت بشكل منفصل والتي استهدفت زيادة تسييس المقاتلين والقوات قد اضافت إلى ذلك المناخ درجات اخرى من التقبل نتيجة نجاح تجاربها، ومنها دورات الكوادر التي اقيمت في الساحة السورية برعاية الشهيد ابو علي اياد، وتجربة معسكري 99 و 199 في الاردن.

لقد ادى كل ذلك إلى مناخ ناهض والى تقبل حقيقي لفكرة العمل السياسي من قبل المقاتلين والضباط التنظيميين.

ومما لا شك فيه ان نوعية المفوض السياسي وطلائعيته وانغماره في الاعمال القتالية قد ساهمت مساهمة اساسية في هذا الاتجاه.

بدأت الاشهر الاولى بتكليف الاخ قدري (سميح ابو كويك) وكان من المسؤولين التنظيميين في فتح، ولكن سرعان ما عاد إلى صفوف التنظيم بعد مساهمته المخلصة والدءوبة في تأسيس اول جهاز للتوجيه السياسي تحت مسؤوليته.

وتشكلت النواة الاولى للجهاز من مفوضي القطاعات، وكانت القطاعات هي اعلى مستوى للتشكيل العسكري في قوات العاصفة وتوازي الكتائب.

وقد سمي الدكتور صلاح غرايبه وكان من القيادات التنظيمية الحركية في اقليم الاردن مفوضاً للقطاع الشمالي، وسميت مفوضاً لقطاع (201) جرش. وخالد ابو خالد مفوضاً للقطاع الاوسط وكان قبل ذلك من الكوادر الاعلامية والتنظيمية في الساحة السورية.

وصلاح التعمري مفوضا للقطاع الجنوبي والذي سبق وسمي مفوضاً سياسياً قبل تشكيل الجهاز وكذلك فهو من الكوادر التنظيمية اصلاً.

ويمكننا من زاوية رديفة ان نعتبر مجهودات الدكتور محجوب عمر في القطاع الجنوبي كمجهودات تصب في قناة العمل السياسي ورديفه الجماهيري.

وقد شارك كمفوضي وحدات ومواقع كل من ابو محجن وابو فاخر وابو اروى واسامة بن زيد (في القطاع الشمالي) وحسين المالكي (في القطاع الجنوبي)، وابو حسان وسميح عبد الله في كل من قطاع الجولان (سورياً) وقطاع جنوب لبنان، ومعظم هذه الاسماء هي اسماء حركية، وليس في متناول اليد الاسماء الحقيقية لبعضها.

وغيرهم من الاسماء التي لا تستحضرها الذاكرة بعد كل هذه السنوات.

ما لبث ان تم تأسيس مدرسة الكوادر الثورية في قطاع جرش (201)، وبعد ملاحقة دءوبة لها من قبل طيران العدو (حيث تعرضت منطقتها لعدة اغارات) صدر القرار بنقلها إلى منطقة قريبة من عمان، وسميت (وقد كنت آمرها) نائباً للمفوض السياسي العام.

يسجل هنا للاخ قدري (سميح ابو كويك) ان رصيده النقي وطابعه العقائدي كان من اهم عوامل استقطاب الكادر والمفوضين السياسيين لهذه التجربة.

ثم قام كل من الاخ قدري والاخ هاني الحسن (الذي كان معتمداً لاقليم الاردن) بتبادل مواقعهما، حيث اصبح الاخ هاني الحسن مسؤولا لجهاز التوجيه السياسي ومفوضاً سياسياً عاماً.

لقد كان ذلك بداية لوتيرة جديدة وحقيقية حيث كان الاخ هاني الحسن اكثر اهتماماً بهذه المهمة واكثر ابداعاً في مضمارها، فهو من الكوادر التنظيمية والنقابية الاولى وهو كذلك خريج دورة الصين الاولى، وقد اجتاز فترات تعايش مع مقاتلي العاصفة قبل ذلك.

تواصلت هذه التجربة بعد مجيء الاخ هاني الحسن ضمن فترتين: الاولى من بدايات 1970 حتى ايلول 1970، والثانية بعد ايلول وحتى سقوط الاحراش في شهر تموز 1971.

لقد ادت المواصفات الطلائعية لقيادة الجهاز ورموزه إلى زخم في الاندفاعة الاولى، وكان ذلك الزخم هو الاساس لأغنى محاولة وتجربة للعمل السياسي في قوات العاصفة.

فقد تم في هذه المرحلة:

1. الانتشار الواسع في وسط المقاتلين والقطاعات والوحدات، وقد حظي ابانها المفوض السياسي باعلى قدر من الفاعلية والاحترام.
2. تأسيس مدرسة الكوادر وتخريج الدورات الثلاث الاولى منها، والتي كان مجموعها تسعين كادراً من خيرة المحاربين، حيث تم انتقاءهم في الاساس وفق مواصفات معينة.
3. ذلك التفاعل الخلاق مع التنظيم وجهاز الاعلام بقيادة كل من الاخوين الشهيدين كمال عدوان وماجد ابو شرار.

   لقد كان للشهيد كمال عدوان اسهامات ايجابية للغاية وخاصة من خلال دعمه لمبادرة تأسيس مدرسة الكوادر، وتلك الوفود الاعلامية والتنظيمية التي حضر بعضها من اقاليم اوروبا والمهجر للتعايش مع المقاتلين.
4. وضع اول هيكلية ولائحة داخلية للتوجيه السياسي.
5. تحديد شروط اختيار المفوض السياسي ومواصفاته.
6. وضع الروح الحقيقية للعمل السياسي في القوات وتأسيسها انطلاقاً من المبرر التاريخي لوجود الجهاز وليس من المبرر الواقعي وهو الامر الذي ابتعد بتأسيس الجهاز عن كل مخاطر الانزلاق باتجاه النزعات الخاطئة التي كان من الممكن ان ينزلق اليها.
7. تكريس اصدار التعميم الاسبوعي والشهري والتوجيه اليومي للمقاتلين.
8. تكريس المفوض السياسي نائباً للقائد للشؤون السياسية كل في مستواه ومشاركته القرار العسكري والمهام العسكرية.
9. تكريس المشاركة القتالية للمفوضين السياسيين.

لقد بلغت تلك المرحلة الذروة من حيث مشاركة المفوضين السياسيين في الاعمال القتالية لوحداتهم، سواء من ضمن الدوريات القتالية في القطاعات المختلفة او الاعمال القتالية الاخرى. وقد استشهد العشرات من المفوضين السياسيين وخاصة من بين اولئك الذين تخرجوا من مدرسة الكوادر

الثورية. ابان تلك الفترة استشهد ضرغام لطفي مع ثلاثة آخرين من رفاقه المفوضين السياسيين على محور الوحدات-الارسال، واستشهد رفيق أبو سيدو مع خمسة من رفاقه المفوضين خريجي مدرسة الكوادر في التصادم الاول على محور جبل الحسين، اما ثائر منظم وكان من المفوضين المتميزين فقد استشهد فيما بعد في جبال السلط، وهو من خريجي مدرسة الكوادر الثورية ايضاً.

وكذلك استشهد المفوض السياسي لدورية طوباس الثانية والقائد المميز جهاد ابو خيط في الجبل الاخضر في عمان وهو من دورة الصين الثالثة.

كما استشهد المفوض السياسي والقائد المميز يوسف البرغوثي (عبد الله يوسف) اثناء عبوره نهر الاردن، وهو كذلك من دورة الصين الثالثة.

وغيرهم وغيرهم من المفوضين السياسيين الشهداء.

10. القيام بواحدة من افضل التجارب في العلاقة مع الجماهير المحيطة بمواقع القوات وتعبئتها واقامة الصلات الطيبة معها.
11. فعالية المجهود التربوي لتربية المقاتلين وخاصةً بقواعد الالتزام والانضباط والسلوك الثوري.

اتسمت تلك المرحلة بالعمل العسكري النشط اولاً في الاغوار، وفي مناطق التماس مع العدو من شمالي الاردن إلى جنوبه، ومن جنوب لبنان إلى الجولان. وثانياً: ابان المصادمات في الساحة الاردنية حيث بلغ الامر ذروته في ايلول 1970 وما تلاه.

بعد ايلول، وبعد ان تشكلت قوات اليرموك في الساحة السورية، وهي القوات التي كان عمادها الضباط وضباط الصف والجنود الذين تركوا الجيش الاردني والتحقوا بقوات العاصفة، برزت تجربة شبه موازية في التوجيه السياسي من خلال تشكيل جديد للعمل السياسي في الساحة السورية.

بينما استمرت التجربة في الساحة الاردنية لتتركز في نهاية الامر في منطقة الاحراش حيث اصبحت قيادة الاحراش تتألف من الاخوة: الشهيد ابو جهاد خليل الوزير قائداً، الاخ ابو المعتصم احمد عفانة، الاخ الشهيد كمال عدوان، الاخ صخر حبش، والاخ اسحق الدقس والشهيد حنا ميخائيل (ابو عمر)، ومني.

وقد توليت في هذه القيادة مهام المفوض السياسي حيث تم اصدار نشرة المقاتل الثوري وتم تشكيل آلية للتوجيه السياسي عمادها الكثيرون من الكوادر الاعلامية التي التحقت بالاحراش.

واستمرت هذه الكادرات في العمل حتى بعد صدور القرار في الايام الاخيرة لأن اتولى موقع القيادة في عمان نتيجة لسفر الاخوة ومن بينهم الاخ ابو جهاد للمشاركة في الاجتماعات الفلسطينية (منها المجلس الوطني) في القاهرة ودمشق.

برزت في التجربة الموازية في سوريا بعض الاسماء الاساسية وكان في المقدمة الاخ حسني يونس (ابو خالد الصين)، والاخ ابو الرائد محمد علي الاعرج، والاخ ابو السعيد طيراوية لفترة اقل، وظهر اسم الاخ عبد اللطيف محمد (سليم الوديه) وكذلك ظهر اسم الفدائي السوداني عبد الناصر عبد الحميد. واسم الاخ مازن عز الدين الذي عين مفوضاً سياسياً لكتيبة صلاح الدين المحمولة في 24/5/1971 بقرار من قائد الكتيبة الرائد ابو شكري. وسيقدم الاخ مازن عز الدين فيما بعد اكثر نماذج العمل السياسي تواصلاً عبر كل مراحله اللاحقة واكثرها اندماجا في اطار القوات

اما في قوات اليرموك فقد برزت - اضافة للاخ حسني يونس- الاسماء الاخرى ومنهم الاخ ابو فارس (مرعي عبد الرحمن) والاخ ابو خالد حسين (محمد حسين عرفه) والاخ ابو نضال عرار، والاخ ابو

فاخر (عدلي الخطيب).

ضعف في هذه الآونة الدور الموحد والمركزي لجهاز التوجيه السياسي، كذلك توقفت مدرسة الكوادر عن استقبال الدورات منذ ايلول 1970، حيث اسندت لدورتها الثالثة المواقع والمهام القتالية في كل من منطقة الارسال في الوحدات، وفي الحاووز في جبل الاشرفية وفي كل منطقة دوار فراس في جبل الحسين.

وقد تلقى مقاتلوا هذه المدرسة ومن معهم الصدمة الاولى في صد الهجوم وسقط عدد كبير منهم شهداء في ميدان القتال، كذلك صمدت ثلة قليلة مع امجد ابو الليل في حاووز الاشرفية وكان لهذا الصمود اثر بالغ في مجرى القتال.

وتوليت في تلك الفترة (حيث كان آمراً للمدرسة ونائباً للمفوض السياسي العام) مهاماً قتالية في ميدان القتال ومهام اخرى في نطاق القوات، وفيما بعد شاركت مع الشهيد ابو جهاد في تأسيس لجنة حركات التحرر وتوليت مسؤولية الساحة الاردنية بقرار منه.

كما اسندت للمفوض السياسي العام الاخ هاني الحسن المهام الاضافية الاخرى المتعددة في نطاق تشابك الصراع في الساحة الاردنية.

وهو الامر الذي صرف كلاً من المفوض السياسي العام ونائبه إلى مهام فرضت نفسها في اتون تداعي الصراع.

بدأتُ بالتفكير بانشاء مدرسة الكوادر بنمط يختلف عن نمط معسكرات الكوادر ودوراتها السريعة التي كان يرعاها الشهيد ابو علي اياد بداية في الهامة ثم في كفر سوسه في ضواحي دمشق، اثناء المشاركة في الدراسة في اكاديمية نانكين العسكرية في الصين متأثراً بتجربتها.

وقد وجدت الفرصة عندما تم تشكيل جهاز التوجيه السياسي واسندت لي مهمة المفوض السياسي لقطاع (201) والذي كنت معيناً لتوي في الاساس مساعداً لقائده، الامر الذي اتاح لي فرصة المبادرة لتأسيس هذه المدرسة. وبغض النظر عن مجريات الاحداث والمطاردة الساخنة لطيران العدو في محاولة لضربها فإن من المهم توضيح المبادئ الاساسية التي قامت عليها المدرسة.

برز المبدأ الاول في الشروط التي تم على اساسها اختيار المشاركين فيها، وهي الشروط التالية:

1. ان يكون العضو المشارك مقاتلاً جيداً سجل في تاريخه القتالي (آنذاك) اكثر من ثلاث دورات قتالية.
2. ان يكون لديه مستوى من الوعي السياسي والمؤهل الثقافي.
3. ان يتمتع بالمسلكية الثورية والالتزام بالقيم والمناقبية.
4. المقدرات القيادية والشخصية الطلائعية.

*وكان المبدأ الثاني في نظرية التربية الشاملة، ان الذات الانسانية تتشكل من اربع عوامل هي: العقل والروح والنفس والجسد. وان لكل عامل فضائله وعلى رأسها الفضائل الاساسية، وهي لكل من هذه العوامل: الوعي والمعرفة للعقل، والوجدان السليم والضمير الحي للروح، والشجاعة وقوة الارادة للنفس، والنشاط والعمل للجسد.

وان التربية الشاملة هي التي من شأنها رفع سوية الفضائل الاربعة.

ولكي يتم ذلك لا بد من اتباع الاساليب المباشرة وغير المباشرة، والمنهج النظري والعملي في آن واحد.

وهو ما يحتاج إلى عمل مكثف ضمن فترات زمنية كافية تختلف عن تلك الدورات التي كانت تتم في معسكرات الكوادر لعدة اسابيع او لما يزيد عن الشهر قليلاً.

كذلك فقد تم وضع مبادئ العملية التربوية واهدافها ومن اهمها تلك المبادئ المتعلقة باتجاه التربية وهي:

1. التربية على محبة فلسطين (الوطن)، والشعب الفلسطيني، والوحدة مع الجماهير، ومحبة الامة العربية والانتماء اليها.
2. التربية على المبادئ والقيم الاخلاقية والمناقبية النبيلة للمقاتل.
3. التربية والاعداد لاداء المهام المتعددة للقوات الثورية التي هي من نمط جديد.
4. التربية على الاهداف الكبرى للنضال الانساني وهي:

   الحرية، العدالة، السلام القائم على العدل، التقدم.

   وكيف يرتبط كل من هذه الاهداف بالآخر، وتنمية الحس الانساني والسمو الانساني.

   لقد كانت روح الحرية والكرامة ارقى محور للتعلق بالاهداف الانسانية العليا.
5. التربية على كراهية العدوان والاحتلال والظلم.

لقد وصفت من اجل ذلك البرامج المتكاملة، وتم العمل لتوفير المناخات والظروف الملائمة لاداء المهام.

*وتجسد المبدأ الثالث في الحرص اليقظ على عدم الوقوع في التيارات والمحاور التنظيمية التي بدأت تظهر في حركة فتح، وهو الامر الذي كان من الممكن ان يؤدي بالمدرسة ان تصبح اسيرة لاحد التيارات وهو ما كان سيفقدها موضوعية اسسها.

لقد ادت هذه المناعة لدى مدرسة الكوادر إلى اضطرارها ان تقف في وجه صراع التيارات، واتيحت الفرصة لمشاركة الجميع في القاء المحاضرات واعطاء الدروس وتفاعل الافكار وانفتاحها، وهو الامر الذي ادى إلى المناعة الايجابية الناجمة عن التفاعل وليس عن التقوقع.

وقد تم بعد كل دورة تصنيف خريجيها حيث اسندت للكثيرين منهم مهام العمل السياسي في القوات واصبحوا مفوضين سياسيين في القواعد والوحدات.

وتمكنت مدرسة الكوادر في تلك الفترة ان تطبق برامجها بدقة متناهية وان تلتزم بالتصورات النظرية التي وصفت كأسس للعمل.

لقد تم تنفيذ ثلاثة انواع من البرامج في كل دورة ولكل مشارك وهي:

- **اولا:** البرنامج السياسي والتعبوي الجماهيري وتجارب الثورات الا خرى والجوانب النظرية

والتاريخية لقضية فلسطين والتاريخية العسكرية، ومعرفة العدو ودراسته.

- **ثانيا:** البرنامج العسكري من خلال الدراسات العسكرية الا كثر تقدماً عما كان قد تلقاه المشاركون في دوراتهم التأسيسية. وقد جرى التركيز على هندسة المتفجرات والالغام.
- **الثالث:** وهو عبارة عن برامج اختصاص مثل تعليم الزراعة والمشاركة في خلق وحدات انتاجية مختلفة الاغراض.

وقد اتسم كل ذلك بتلبية الجانب الميداني تلبية مكثفة.

وفي اتجاه تجربة التوجيه السياسي في الاحراش في الفترة ما قبل تموز 1971 فقد اتسمت هذه التجربة كذلك بجانبها الميداني وبأغنى ممارسة للعمل السياسي اثناء القتال والمعارك، حيث تسلم الكثير من المفوضين السياسيين القيادة الاولى اثناء القتال والاشتباك في المناطق ما بين اربد مروراً بعجلون واحراش دبين ومنطقة الخشيبة وبعض الجبال في السلط.

وكان مركز التجربة في الاساس احراش دبين حيث شارك المفوضون السياسيون المشاركة الموفقة في الا شراف على التأمين الاداري واعداد المواقع والعمل التعبوي والتخطيط للمواجهة وقيادة بعض مواقعها وجوانبها، وكان معظمهم من خريجي مدرسة الكوادر ومن بعض الكوادر التنظيميين والاعلاميين اساساً الذين انضموا اليهم في الظروف القتالية وفي اجواء الحرب تصبح المبادرة التي تتسم بالشجاعة وامكانيات النجاح هي اكثر مصادر الاغناء للخطط والتصورات القتالية.

تقييم تجربة المرحلة الاولى

حظيت هذه المرحلة بمأثرة التأسيس ووضع التصورات التي فرضت نفسها للعمل السياسي وملامحه الاساسية بحيث جعلت الفكرة العامة حول الجهاز واهدافه ومهامه تنطلق من التماثل مع ارقى واعمق تجاوب العمل السياسي في القوات الثورية، وقد كان هناك مزايا اساسية لهذه التجربة:

1. قوة الاندفاع وزخم الوتيرة والمقدرة على مواجهة المعوقات والتغلب عليها بسرعة.
2. حفر الا سس الا ولى التي جسدت اهم اركان جوهر العمل السياسي في القوات بحيث انها فرضت الملامح الاساسية للمراحل اللاحقة.
3. اعطت المردود المطلوب والنتائج المرجوة وحققت الاهداف بنسبة مميزة في العمل السياسي والتربية السياسية.
4. تميزت بالتركيز لغرس قيم السلوك الثوري وتعبئة الجماهير وممارسة النقد والنقد الذاتي واطلاق المبادرة.
5. وضعت اسس المشاركة للمفوض السياسي في المهام العسكرية وقدمت ارقى نموذج لذلك.
6. تأسيس مدرسة الكوادر وتقديمها لافضل دوراتها وتفاعلها مع الوفود الزائرة وانفتاحها على التجارب الا خرى حيث كانت تدرس فيها كل من التجارب السوفيتية والصينية والجزائرية والفيتنامية والكوبية، واستقبلت الوفود العربية ومن بعض الاحزاب في اوروبا الغربية.

وفي المقابل كان للتجربة بعض نواقصها او قصورها نتيجة لاسباب موضوعية والى حد ما ذاتية، وتتركز الاسباب الموضوعية في الاحداث التي فرضت نفسها وخاصةً في الفترة الثانية من التجربة، اما

الاسباب الذاتية فتتركز في ان اداة العمل كان ما زال في طور التجربة الاولى.

ولعل اهم هذه النواقص:

1. عدم استكمال باقي الدوائر والمؤسسات المطلوبة حيث تركز الامر على اربعة محاور رئيسية هي:
   - المفوضون السياسيون.
   - التعبئة الفكرية والتعميمات الصادرة عنها.
   - الشؤون الادارية.
   - مدرسة الكوادر.

   وقد صادف الامر اضافات في نشاط العمل وليس في دوائره وخاصةً في الفترة الثانية ومن خلال العمل في الساحة السورية.
2. لم يتم اصدار مجلة او جريدة خاصة للعمل السياسي وخصوصا في الفترة الاولى، وذلك باستثناء دورية "المقاتل الثوري" في احراش دبين، وفيما بعد نشرة المسيرة، ومرد ذلك هو الاعتماد إلى حد ما على الاعلام النشط والديناميكي لجهاز الاعلام بقيادة كمال عدوان ومساعده ماجد ابو شرار.
3. وصلت التجربة في فترتها بعد ايلول 1970 إلى تبعثر مركزية الجهاز ونشوء تجربة شبة موازية وشبه منفصلة وقد كان ذلك بفعل موضوعي فرض نفسه.
4. صادفت التجربة بعض العقبات الفردية المتمثلة في عقلية جزء من الضباط الوافدين من بعض الجيوش والذين استلموا مواقع قيادة بعض القطاعات العسكرية.

   ولكن زخم الوضع القتالي والمعنوي، وكون التعارض مع هؤلاء البعض لم يقتصر على المفوضين السياسيين فحسب وانما شمل كذلك التعارض مع كل ضباط قوات العاصفة اصحاب المنشأ التنظيمي، بل وحتى مع معظم الضباط ذوي المنشأ الكلاسيكي والافق الواسع، وكذلك قوة اندفاعة الروح الفدائية، والدعم الحقيقي من القيادة العامة لقوات العاصفة ادى إلى محدودية تأثير هؤلاء الافراد.
5. اتباع المنهج التنظيمي ورجحانه في بعض المواقع، والوقوع في النزعة النظرية المحضة احيانا، لقد كان الامر يستدعي ذلك التفاعل بين منهج بناء المؤسسة والطابعين التنظيمي والعسكري وخط التوازن في استلهام التجربة التنظيمية.
6. الطابع الحالم والنزعتين النظرية والتطهرية وسيطرتها على روحية العمل لدى بعض المفوضين السياسيين.
7. عدم متابعة تنفيذ لائحة العمل خاصةً وانها وضعت في ظروف الاحداث المتفجرة في الاردن.

بالعموم ستبقى اندفاعة السنة الاولى للتوجيه السياسي هي اعلى وتائر اندفاعته لفترة تربو على ربع قرن من العمل. وقد اعطى ذلك الامر قوة استمرار غير مباشرة ادت إلى ترسيخ الاسس، وثباتها فيما بعد.

التجربة الثانية:

وفي الجانب الآخر وفي اطار التجربة شبه الموازية والتي انطلقت في قوات اليرموك (في الساحة السورية)، كتب احد المفوضين السياسيين المشاركين فيها واصفاً اياها بالتجربة الثانية من نهاية 1970 إلى نهاية 1971 ما يلي، ولاهميتها نقتبس منها ما يلي:

"كانت تجربة ايلول 1970، منعطفا خطيرا في حياة ومسيرة الثورة الفلسطينية انعكست نتائجها على مختلف مجالات العمل الوطني الفلسطيني والعربي -وكانت لها بطبيعة الحال افرازاتها السلبية والايجابية. وتكاد تكون ظاهرة ميلاد وتشكيل قوات اليرموك هي الظاهرة الايجابية الوحيدة التي افرزتها تجربة ايلول، اضافة إلى خبرة التجربة ذاتها وعمق مدلولها

وهذه القوات شُكلت من الضباط وضباط الصف والجنود العاملين في الجيش الاردني، الذين رفضوا ان يكونوا اداة السلطة الاردنية لضرب وتصفية المقاومة الفلسطينية، في معارك ايلول 1970، وحددوا بالتالي موقفهم وموقعهم الوطني بالانضمام للثورة الفلسطينية افراديا وجماعيا، حيث سرعان ما شكلت منهم -قوات اليرموك- التابعة لحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) واصبحت بالتالي جزءاً من قوات العاصفة، واخذت تشكل كتائبها ومؤسساتها الادارية والعسكرية بنشاط وحيوية تدعوان للاعجاب والتقدير. ان نسبة من ضباط وجنود هذه القوات، يمكن القول بشأنها انها التحقت بالحركة عبر عملية فرز تنظيمي وكان ارتباطها تنظيميا بحركة فتح، بشكل او بآخر، الا ان غالبية قوات اليرموك التحقت بالحركة عبر عملية -فرز وطني- وهذه مسألة لا يجوز موضوعيا تجاهلها او القفز عنها كونها مرتبطة بمسائل اخرى اساسية مؤداها، ان محاولة فهم الجذر الوطني - التنظيمي لنشأة وتشكيل هذه القوات، تفترض دراسة الواقع الموضوعي الجديد - آنذاك للثورة التي اصبحت هي جزء منه لا بل وشاركت في صنعه، وبالتالي قدرتها على الفعل والتغيير في اطاره. لذلك كان من الضروري جدا، القيام باجراء يهدف تخطي عملية -الفرز الوطني- باتجاه تعزيز الانتماء التنظيمي- الفكري بالحركة، ولو باشكالها الاولية البسيطة.

ولا نغالي اذ نقول، ان محصلة دراستنا لواقع الحال في قوات العاصفة -حينئذ- تشير إلى الضرورة الملحة، لاعادة تشكيلها وبنائها من جديد، وتعويضها عن النقص في المعدات والافراد، ورفع حالتها المعنوية القتالية. وهذه ظاهرة طبيعية (عرفتها الجيوش النظامية والقوات الثورية، عقب المعارك الضارية والعنيفة التي خاضت غمارها). انه وازاء هذه الوضع الجديد، بات ملحا كذلك، ممارسة العمل السياسي في وحدات العاصفة، وخاصة في كتائب قوات اليرموك حديثة التشكيل -حيث ان ابعاد مجزرة ايلول لم تكن واضحة في عقول المقاتلين مما يستلزم بالتأكيد، شرح وتفسير (الظاهرة الايلولية، والخطوات اللاحقة لقيادة الحركة حيالها).

خصائص التجربة الثانية

باشر المفوضون السياسيون عملهم، وخاصة في قوات اليرموك هادفين بالدرجة الاولى شرح وتبسيط فكر ومنطلقات حركة فتح وتقريبها إلى عقول المقاتلين، بهدف تعزيز انتمائهم التنظيمي الفكري للحركة اي ان نشاطاتهم كانت توضيحية وتلاؤمية ازاء الواقع الجديد الذي تعيشه القوات. ولقد واجه العمل السياسي في هذه التجربة بعض الصعوبات وحقق بعض الانجازات. وكيما تكون الصورة اكثر وضوحا، فلا بد من تناول وتحليل مسألتين اساسيتين:

- أ. لقد كانت احدى القضايا الملحة في العمل السياسي هي كيفية فهم وصياغة العلاقات الاخوية والثورية، وطريقة واسلوب ممارستها بشكل سليم في التشكيلات العسكرية، ودونما تخطي وتجاوز

الاشكال الرتبوية القائمة خصوصا وان قضية -تجييش- قوات العاصفة (اعادة تدريبها.. تنظيمها.. تسليحها.. الخ) لم تكن مفهومة بشكل سوي وبوضوح مطلوب وكاف لدى العديد من المقاتلين والكوادر العسكرية على حد سواء. فقد اعتقد البعض ان نمط حياة القواعد الفدائية تتعارض واساليب الانضباطية الصارمة، ولا تتقيد بأية صفة او سلطة رتبوية اي انهم ينادون بالعلاقة اللامركزية -بينما يرى البعض الآخر ان المركزية في العلاقات هي الحل الانسب والامثل لتحقيق النظام والانضباط في الوحدات العسكرية حيث كثيرا ما كانت هذه المركزية تعني بالنسبة لهم الفردية الشخصية، ومن ثم التمايز القسري في العلاقات بين المقاتلين المحددة حسب فاصل الدرجة الرتبوية وبالتالي تكريس الفوارق والامتيازات في اطار دائرة مسؤوليتهم وتعاملهم.

وفي مواجهة ذلك كان التساؤل القائم امام العمل السياسي يدور حول الوسيلة الممكنة لتطبيق مبدأ المركزية الديمقراطية- في الحياة اليومية للمواقع القتالية، حق المقاتلين في التعبير عن رأيهم بجرأة وحرية في الاطار التنظيمي الصحيح لذلك. اي بتقديم البديل السليم الذي يتماشى والاسس التنظيمية للحركة ازاء قضية العلاقات الانسانية والثورية والذي من شأنه ان يمكن المقاتلين من التفاعل الايجابي مع قضاياهم اليومية والمصيرية على اعتبار ان قضايا المقاتلين جزء من قضايا الثورة وان حلها بشكل سليم يحول دون وقوعهم في شراك اللامبالاة والسلبية ويجنبهم ايا من حالات الانفلاش وعدم الانضباط. ومن المهم جدا في ذات الوقت ان تتوضح، وبجلاء كامل، عدالة هذه القضية للقادة والضباط واقناعهم ان هذا لا ينال من مسؤوليتهم او يشكل تجاوزا للمراتب العسكرية القائمة وان من الواجب دعم واغناء مفهوم -المركزية الديمقراطية- في الوحدات العسكرية واعتباره مقياسا دقيقا للعلاقات اليومية مهما تنوعت اشكالها.

وفي الحقيقة فإن مسألة العلاقات الرتبوية وما يتفرع عنها في مجال العلاقات اليومية سوف تبقى تحتل مكانة خاصة في مجال العمل السياسي، وان تجاهلها او التقليل من اهمية وشأن تنظيمها وفق مبدأ المركزية الديمقراطية من شأنه ان يشكل عائقا كبيرا امام تطوير العمل السياسي في قوات العاصفة. ان هذه المسألة ذات شقين، حيث ان شقها الثاني يتمثل في حدود ومدى -علاقة المفوض السياسي بقائد الوحدة- والضباط الآخرين والتي كثيرا ما تتوقف على طريقة ممارسته لعمله وعلى فهم ووضوح هذا العمل لدى القائد والضباط وايمانهم به. مما يؤكد ان هذه العلاقة قادرة ان تعكس ذاتها سلبا ام ايجابا على مجموع المقاتلين وعلى نتائج العمل السياسي وعلى مكانة وصلاحيات المفوض السياسي ذاته.

- **ب. دور المفوض السياسي**

في فترة التجربة الثانية كانت النظرة مبهمة وغامضة تجاه المفوضين السياسيين نظرة تكتنفها عوامل الشك والريبة، بجدوى وجودهم في القوات وبالتالي بجدوى عملهم، ان منشأ هذه النظرة التشكيكية -العدائية- في بعض الاحيان من قبل بعض القادة والضباط -يعود إلى عدم وعيهم وادراكهم لاهمية العمل السياسي في القوات معتقدين ان المفوضين سينازعونهم مسؤولياتهم وصلاحياتهم او انهم يحاولون استقطاب عناصر الوحدات وزعزعة انضباطيتهم العسكرية وما يساعد على الاعتقاد الخاطئ عدم التحديد الواضح لدور ومكانة المفوض السياسي وحدود صلاحياته. خاصة وانه ليس ممثلا للحزب في قوات الجبهة الوطنية كما في فيتنام مثلا، والى انه لم يكن في عداد الجهاز العسكرية للقوات. لذلك فقد رأى البعض فيه انه ليس بأكثر من واعظ ملحق بالقوات بينما رآه البعض الآخر معنيا بالامور السطحية والبسيطة وحتى التافهة. ولكن مع ادراك المفوضين لهذه النواحي جميعا فانهم استمروا في عملهم باعتبارهم مساعدين لقادة

وحداتهم في الشؤون السياسية يحدوهم الامل في السعي المتواصل لتحقيق هدف ذو بعد حقيقي لا نه مرتبط بالهدف النهائي للثورة اي بتحقيق الانتصار وتحرير الوطن الذي لن تحققه الا الجماهير الشعبية المعبأة والمنظمة والمسلحة بالبنادق المسيسة الواعية لابعاد قتالها الوطني والقومي ولقد اكدت الاحداث فيما بعد ليس فقط إلى اي مدى وقع اصحاب نظرية التشكيك بجدوى العمل السياسي في وهم تصوراتهم الخاطئة فحسب وانما ايضا ما اعادته بالنفع بممارسة العمل السياسي في القوات سواء في مجال التعبئة المعنوية وتعزيز الانضباطية او في المساعدة على حل المشاكل اليومية في المواقع القتالية.

انجازات التجربة الثانية:

1. المكتبات الميدانية.

كان لا بد من العمل على تعميق الوعي النظري لاهداف ومنطلقات الحركة. وبالتالي توسيع الآفاق الفكرية والثقافية للمقاتلين. ومن هنا ظهرت المكتبات الميدانية في الكتائب والسرايا التابعة لها، والمحتوية على الكتب والدراسات الحركية، وغيرها من الكتب الثورية والادبية والثقافية العامة وكان يراعى ويتوخى من الكتب الثورية والادبية والثقافية العامة وكان يراعى ويتوخى في اختيار محتويات هذه المكتبات الميدانية قدرة المقاتلين على التعامل معها فكريا وذهنيا.

ان اهمية هذه المكتبات، انها كانت بمثابة خطوة إلى الامام عن طريق تعامل المقاتل مع الكلمة المكتوبة -المقروءة عقليا، ووضعه على ابواب المعارك الانسانية والبحث عن جوهرها، من خلال تعويده المستمر على المطالعة المفيدة، بهدف رفع مقدرته العقلية على محاكمة المسائل السياسية والنظرية بشكل عام. ومن ملاحظاتنا، فان كتابا يتناول قضايا الفكر والثورة، او تاريخ الشعوب وتجاربها وادبها يتسلمه مقاتل من -مكتبة ميدانية- ويواظب على قراءته وفهمه في ظل ظروف قاعدته الصعبة، المعرضة لقصف وغارات العدو، اجدى نفعا، بمئات المرات له ولشعبه ولثورته، بالمقارنة مع عشرات ومئات الكتب المكدسة في مكتبات جميلة، تزين صالونات المثقفين -اللاثوريين الذين يعتبرون قراءتهم لها نوعا من الترف الفكري ليس الا.

2. صندوق الشكاوي والاقتراحات:

على طريق تعزيز روحية التعاون الاخوي، والشعور بالمسؤولية لدى الجميع وحق كل فرد في التعبير عن رأيه بحرية، وابداء وجهة نظره وملاحظاته في قضايا العمل اليومي وفي كافة الامور المتعلقة بالثورة دونما رهبة او خوف وضع صندوقا للشكايات والاقتراحات لدى جميع السرايا في الكتائب، وكذلك لدى قيادة الكتيبة، واتفق على ان يكون في مكان متفق عليه في ساحة الموقع.

وفي واقع الحال، لم يكن من السهل في ذلك الوقت ممارسة النقد والنقد الذاتي عمليا، ذلك لانها مسألة تنظيمية متقدمة ولم تتوصل إلى تأطير نفسها بشكل تنظيمي سليم. هذا من ناحية، وايضا لعدم اعتياد المسؤولين في المواقع على ان يواجهوا بنقد من الآخرين، واعتبارهم اياه وكأنه تجريح بهم. كما وان الناقدين، لم يعتادوا كيفية ممارسة النقد لنفسهم ولغيرهم وفق اسس (ديمقراطية، تنظيمية، تربوية سليمة) تبتعد بهم عن نزق الانفعال، وتبني في نفوسهم الاتزان الفكري، والجرأة الادبية، ودونما اساءة استخدام هذا الحق والواجب التنظيمي.

ان صندوق الشكايات كان خطوة على طريق تشجيع المقاتلين لاخذ مواقعهم في المشاركة اليومية

لحياة قواعدهم وسراياهم وعدم اعتبار اي اقتراح يتقدمون به تجاوزا او جريمة يعاقبون عليها وفي الحقيقة فإن العديد من المقاتلين كانوا هيابين في بداية الامر من ذكر اسمائهم او ارقامهم على الاقتراحات المكتوبة والملقاة من قبلهم في صندوق الاقتراحات والشكايات. كما وكان البعض منهم يتحين حلول الظلام ليضع في الصندوق اقتراحه المكتوب وغير الموقع باسمه، حتى لا يراه احد اعتقادا منه ان ذلك ربما عرضه لمسؤولية لا (يرغب فيها).

ولقد استلزم الامر طويلا، حتى اخذ الافراد يقدمون اقتراحاتهم للصندوق وموقعة باسمائهم وارقامهم. وعندما كان يعلم رفاقهم في المواقع انه اجيبت كل تساؤلاتهم من قبل قائد الكتيبة او المفوض السياسي للكتيبة، وخطيا في بعض الاحيان، لا بل، عندما تكون اقتراحات احد المقاتلين جيدة وملاحظاته سليمة وتستوجب التعميم، كانت تعمم على باقي الافراد في وحدته، مما ترك لدى الجميع انطباعات جيدة، وزاد من جرأتهم الادبية وثقتهم في نفوسهم، ومساعدتهم على التحرر من روتين الرتبة وقيودها. وقد ينظر الآن لهذا الاجراء انه بسيط وساذج، الا انه في حينه، كان خطوة على طريق -اولويات العمل السياسي- في هذه التجربة، ولو باشكال بسيطة الا انها مشروعة.

3. تشكيل اللجان الرياضية، الثقافية، الاجتماعية:

كما ذكرنا انفا، فإن مسألة العلاقات الرتبوية كانت بحد ذاتها قضية تستوجب الحل حتى لا تكون عقبة امام تنشيط وتطوير الطاقات والكفاءات القاعدية، وكان من الضروري لاية خطوة في هذا الاتجاه مهما بدت -شكلية- ان تجد صدى وتجاوب من قبل المواقع ومن هنا.. صدرت القرارات في كتائب اليرموك بتشكيل اللجان المذكورة اعلاه.

ان هذه اللجان، قصد بها اعطاء القاعدة حق المشاركة اليومية الفعلية في تقرير العديد من القضايا اليومية الملحة، باسلوب غير كلاسيكي، من شأنه ان يكون واعيا وابداعيا وخلاقا. اي ان تشكيل اللجان، كان مقدمة لاحداث تغيير في بناء العلاقة -الهيكلية نحو الافضل في جسم القوات.

واذا كان واضحا ما يمكن ان تمارسه لجنة رياضية من مهام فانه لم يكن من السهل ان تقرر اللجان الاجتماعية في السرايا تقرير مسائل مثل -السلف والمساعدات- للمقاتلين والمحتاجين لها والتي لا تقدم الا عند دراسة شاملة لحالة كل المقاتل. اي ان حق القائد وحده في تقرير هذه المسألة لم يعد كافيا، دون موافقة اللجنة الاجتماعية عليها مسبقا، كما وان المسائل الثقافية والاعلامية والمكتبات الميدانية، اصبحت مثار اهتمام اعضاء اللجان الثقافية.

صحيح ان امور ونشاطات هذه اللجان لم تسر تماما وفق ما اريد لها، خاصة فيما يتعلق بصرفيات -السلف والمساعدات- المالية للمقاتلين المحتاجين، وان عمل هذه اللجان تعطل هنا وهناك وكثيرا ما حصلت تجاوزات ملحوظة لصلاحيات، بل وتعطلت فاعليتها في احيان كثيرة ومع ذلك فان اروع ما قدمته تجربة اللجان في القوات على ما رافقها من سلبيات ملحوظة، انها اكدت -نظريا وعمليا- ولو بشكل جزئي (حق المشاركة القاعدية في تقرير بعض القضايا اليومية والعامة في المواقع القتالية، وحق المفوضين السياسيين بالاشراف على نشاطاتها المتعددة).

ان للتجربة الثانية، ككل التجارب بصفة عامة، نواقص واخطاء اشرنا لبعضها من خلال تناولنا لملامحها العامة -واذا كنا غير راغبين للتطرق باسهاب إلى سلبياتها، فمرد ذلك، كون التجربة الثانية، اقتصرت على قوات اليرموك دون سواها من وحدات العاصفة وكذلك نظرا لما عانته هذه القوات ابان فترة التجربة من اوضاع وملابسات ليس من مجال للخوض فيها على ان ابرز سلبيات التجربة هنا، عجزها وقصورها، عن القيام بدور فعال لتجنيب القوات والابتعاد بها عن خلافات لا

مبرر لها، نالت من قوتها واضعفتها في وقت كانت فيه كل الثورة الفلسطينية بحاجة ماسة إلى قوتها وتماسكها. (وموضوعيا، لم يكن باستطاعة التجربة تحقيق ذلك).